أوضاع اللاجئين والنازحين الفلسطينيين

وحق العودة ووكالة الغوث
والمعاملة الدولية للمشكلة

الباب الأول

التطورات التاريخية للكيان الفلسطيني من ١٣٣٠ قبل الميلاد حتى عام ١٩٤٨

◆ ◆ ◆

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة عن التطورات التاريخية للكيان الفلسطيني

عاشت فلسطين ترزح تحت نير الموجات الاستعمارية موجه تلو الأخرى .وذلك بسبب :

أولاً – المكانة الدينية :

التى تتمتع بها عند جميع أتباع الديانات السماوية الثلاث :

١- الديانة الإسلامية : حيث يتبعها (المسجد الأقصى ، مسجد قبة الصخرة ، حائط البراق ، مسجد عمر ، مراقد الصحابة) .

٢- الديانة المسيحية : حيث يتبعها (كنيسة القيامة ، والقبر المقدس ، كنيسة الجسمانية ، كنيسة مريم ، كثير من الكنائس والأديرة المقدسة) .

٣- الديانة اليهودية : حيث يدعى بعض اليهود بوجود الهيكل الأول والثانى تحت ساحة المسجد الأقصى .

ثانياً :الموقع الاستراتيجي :

تقع فلسطين على مقربة من مصر وقناة السويس ، ووجود اليهود فى فلسطين قصد به أن يشكل رأس حربة للاستعمار البريطانى فى المنطقة العربية ، كما رأت بريطانيا أن العرب سينشغلوا بحربهم مع اليهود عن مجابهة المصالح البريطانية الاستعمارية فى المنطقة وأن الكيان الصهيونى سيحافظ على تأمين سلامة المواصلات الإمبراطورية المؤدية إلى الهند درة التاج البريطانى .

فضلا عن أن وجود الكيان الصهيونى فى نقطة فاصلة يستطيع من خلالها عزل عرب المشرق عن عرب المغرب حتى لا تقوم قائمة لاتحاد عربى على أساس التواصل الجغرافى .

ثالثاً : الإمكانيات الاقتصادية :

تتميز فلسطين بمحاصيلها الزراعية ، وتجاورها مع مناطق غنية فى إنتاج البترول مما أدى إلى إستهداف الشعب الفلسطينى خلال هذه الموجات الاستعمارية المتلاحقة فذاق ضروباً متعددة من العنت والظلم ، وصنوفاً شتى من العذاب والاضطهاد، حتى خيل للبعض أن الشعب الفلسطينى قد فقد كيانه الذاتى المستقل .

ويذكر التاريخ أن فلسطين كانت تسمى أرض كنعان (١٣٠٠- ١٢٠٠ ق.م) لاستقرار القبائل الكنعانية بها وكان لكل مدينة كنعانية ملكها ونظامها . ثم تأسست مملكة إسرائيل عام ١٠٠٠ ق.م ، وجاء حكم مملكة الحشمونين المستقلة (١٤٠- ٦٣ ق.م) ثم جاء العصر الفارسى ، وتلاه العصر اليونانى ، ثم العهد البطلمى فالعهد الرومانى البيزنطى (٦٣ ق.م – ٦٣٨ بعد الميلاد) .

ثم فتح المسلمون فلسطين عام ٦٣٨م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وخضعت للحكم العربى فى عهوده المختلفة ، ودخلت فلسطين فى الإمبراطورية الإسلامية وارتبطت بخليفة المسلمين[1].

وظلت فلسطين منذ عام ١٢٥٠ وحتى عام ١٥١٦ تابعة لحكم المماليك قبل دخول الجيش العثمانى ، فعندما ساءت العلاقات العثمانية المملوكية قرر السلطان سليم الأول دخول سوريا وكر المماليك عام ١٥١٦(وكانت فلسطين جزءا من

(1) محمود فهمى كريم : السلطة الوطنية الفلسطينية فلسطين فى الطريق إلى الدولة صـ٢٤٥.

ولاية سوريا) .

وقد تم فعلاً ما أراد السلطان العثمانى من دخول سوريا ودارت معركة عنيفة قرب حلب تدعى معركة « مرج دابق » عام ١٥١٦ ، وتابع الجيش العثمانى زحفه على دمشق ، ثم قرر الزحف إلى مصر لكسر شوكة المماليك ماراً بفلسطين ثم سيناء ، ودخل سليم الأول مصر بعد معركة عنيفة بين العثمانيين والمماليك تدعى معركة «الريدانية» عام ١٥١٧ ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام ١٩١٧ أى ما يقرب من ٤٠٠ عام وفلسطين تحت الإدارة العثمانية[1].

(١) فتحى عبد النبي الوحيدى : التطورات الدستورية فى فلسطين ١٩١٧-١٩٩٥ صـ١٤٢-١٤٣ .

obeikan.com

فلسطين تحت الحكم العثماني في (١٥١٧-١٩١٨)

خضعت فلسطين كغيرها من البلاد العربية فى أوائل القرن الـ١٦ للدولة العثمانية وأصبحت جزءاً منها ، وقد سرت فى هذا التاريخ روح القومية العربية فى مواجهة النزعة القومية لدى الأتراك .

وبالرغم من أن الأتراك لم يكونوا استعماريين ولا متسلطين ، حيث كانوا يولون على الأقاليم التابعة لهم ولاة من أهل البلد أو من العثمانيين الذين تأنس فيهم الدولة العثمانية حسن معاملة سكان الأقاليم الخاضعة لسيادتها ، إلا أن الروح القومية نمت فى هذه الفترة للمطالبة بالاستقلال عن الوالى العثمانى . وقد ساعد فى إذكاء هذه الروح القوى الأوروبية من الخارج ، والإرساليات التبشيرية فى الداخل ، وذلك باعتبار أن حكم السلاطين العثمانيين هو حكم إسلامى ، وإن كانت تركيا هى الرجل المريض فى أوروبا إلا أنه يجب تقطيع أوصالها حتى لا تقوم فى المستقبل دولة إسلامية فى هذه المنطقة من العالم.

ولم تكن فلسطين فى غياب عن هذه الحركة القومية العربية التى ما إن نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) – والتى دخلت فيها تركيا الحرب إلى جانب دول المحور (ألمانيا ، النمسا) ضد دول الوفاق (بريطانيا ، فرنسا ، روسيا القيصرية) -إلا واتجهت أنظار المطالبين بالاستقلال عن الحكم التركى إلى الحلفاء الذين يحاربون الدولة العثمانية وتعهدوا بالقيام بالثورة على الأتراك فى مقابل اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الخاضعة للحكم التركى (ولم تكن بريطانيا

حتى هذا الوقت تحتل أى جزء من العالم العربى) .

وفى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥م أرسل السير (هنرى مكماهون) الذى كان عندئذ مندوباً سامياً فى مصر كتاباً إلى شريف مكة (الأمير حسين) وقد ادعى بأن هذا الكتاب يتضمن تأييدا ووعداً لشريف مكة بالاعتراف باستقلال العرب ضمن البلاد التى اقترحها الشريف ، غير أن هذا الوعد مقرونا بتحفظ ورد فى نفس الكتاب وهذا التحفظ يستثنى ضمن ما يستثنى من المناطق - ذلك القسم من سوريا الواقع غربى ولاية الشام ـ وقد اعتبرت حكومة جلالته على الدوام بأن هذا التحفظ ـ يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل .

وبناءً عليه تكون فلسطين برمتها غربى الأردن مستثناة من تعهد السير (هنرى مكماهون) . ومع ذلك ففى عزم حكومة جلالته تأسيس حكومة ذاتية واسعة النطاق فى فلسطين وإن كانت ترى تبعاً للظروف الخاصة فى تلك البلاد أن يتم استقلال البلاد العربية الخاضعة للحكم التركى تدريجياً لا طفرة[1] .

وفى هذا الإطار قامت الثورة العربية الكبرى بقيادة شريف مكة (حسين بن على) للانقضاض على الأتراك ، وكون الجيش العربى جزءاً من الجيش البريطانى للمساعدة فى القضاء على حكم الأتراك .

وفى هذا الوقت عقد (الشريف حسين) اتفاقا مع (مكماهون) المندوب السامى البريطانى بمصر لمنح الأقاليم العربية استقلالها بعد القضاء على الدولة العثمانية . إلا أنه جرت مفاوضات نقيضة لذلك بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام تركة الرجل المريض المهزوم (الدولة العثمانية) التى امتدت سيطرتها على فلسطين ٤ قرون من عام ١٥١٧م إلى عام ١٩١٨م (٩٢٣ - ١٣٣٧هـ).

(١) فتحى عبدالنبى الوحيدى ، التطورات الدستورية فى فلسطين ١٩١٧ - ١٩٩٥م صـ ١٦١ .

وعند قيام النزعة الصهيونية حاول تيودور هرتزل الداعى لإنشاء دولة يهودية مع (السلطان عبدالحميد) السلطان العثمانى الذى كان على درجة عالية من الذكاء وطول الباع فى المفاوضات مع عتاة اليهود فى محاولة منهم للحصول على موطئ قدم فى فلسطين مقابل دفع مبلغ ٥٠ مليون ليرة إيطالية ذهبية ، لكن السلطان لم يوافق لهرتزل على مشروعه ، كذلك فشلت جهود هرتزل مع قيصر روسيا ومع البابا (إيمانويل) . إلا أن هرتزل لم ييأس واستمرت مساعيه التى أصابت النجاح مع بريطانيا . وعلى العكس من ذلك أصدرت الدولة العثمانية عام ١٨٨٢ قانوناً يعتبر دخول اليهود إلى فلسطين أمراً غير مشروع. وفى عام ١٨٨٨ أصدرت قانوناً آخر يمنع هجرة اليهود على نطاق واسع إلى أى منطقة فى الدولة العثمانية (والتى كانت فلسطين إحدى ولاياتها) واكتفت بالسماح لليهود بالزيارة لفترة ثلاثة أشهر فقط للحج إلى القدس .

فلسطين تحت الإدارة العسكرية البريطانية (١٩١٧- ١٩٢٠)

بدأت علامات الضعف تظهر على جبهة القتال التركية أثناء الحرب العالمية الأولى بين أعوام (١٩١٤ – ١٩١٨) وكانت هذه البداية عام ١٩١٥م ، لذلك قررت بريطانيا أن ترسل حملة (الحملة البريطانية المصرية) من قواتها الموجودة فى مصر لاحتلال فلسطين وإخراجها من دائرة النفوذ التركى لأن فلسطين تشكل اهتماما خاصاً بالنسبة للإستراتيجية البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط عامة والمنطقة العربية خاصة .

تحركت القوات البريطانية من مصر باتجاه جنوب فلسطين واحتلته ثم تابعت الحملة سيرها باتجاه مدينة القدس واحتلتها فى ٩/ ١٢/ ١٩١٧ ،وتعهد القائد البريطانى الجنرال اللنبى بصيانة مقدسات الأديان الثلاثة ، وأصدر الجنرال اللنبى بياناً يطمئن فيه المواطنين ، إلا أنه لم يشر فى هذا البيان إلى الهدف السياسى الرئيسى الذى من أجله قامت بريطانيا باحتلال الأرض الفلسطينية وهو إعداد فلسطين لتكون الوطن القومى لليهود تطبيقاً لما نص عليه وعد بلفور الذى نشر رسمياً فى يوم ٢ / ١١ / ١٩١٧ أى قبل بضعة أسابيع من احتلال بريطانيا لمدينة القدس[1].

وظلت الحملة البريطانية تحتل المدن الفلسطينية إلى أن تم لها احتلال جميع فلسطين فى شهر سبتمبر عام ١٩١٨ . ولا ننسى دفاع القوات التركية عن فلسطين

(1) رفيق النتشة ، د. إسماعيل ياغى ، د.عبد الفتاح أبو علية. تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر للمرحلة الثانوية صـ ١٢.

وبخاصة عن مدينة القدس . فقد دافع الأتراك بقيادة اللواء (على فؤاد) قائد الفيلق العشرين العثمانى عن القدس دفاعاً شديداً ، ولم يغادر المدينة إلا بعد أن استحكمت ضدهم جميع العوامل التى استحالت معها عملية الدفاع عن الأرض المقدسة التى يعتز بها الأتراك كثيراً لأنها أرض الإسراء والمعراج ، وأرض المقدسات وفيها المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة.

والحق يقال أن العثمانيين أقاموا فى فلسطين وبخاصة فى بيت المقدس الكثير من الأبنية ، وشيدوا المدارس ودور العلم ، ومدوا الطرق المعبرة والسكة الحديد التى تربط بين القدس ويافا ، واعتنوا بشؤون المقدسات الإسلامية فى القدس .

وهكذا ظل الحكم العثمانى التركى فى فلسطين مدة أربعة قرون مثمرة امتدت من عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م إلى عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م .

خضعت فلسطين برمتها بعد ذلك للاحتلال البريطانى ، وهو احتلال صليبى جديد لحملات صليبية جديدة ضد العالم الإسلامى . وقد عبر الجنرال اللنبى عن هذا المفهوم فقال عند دخوله القدس : «اليوم انتهت الحروب الصليبية» . وهكذا فإن الجنرال اللنبى لم يبق ما فى قلبه من كره للإسلام والمسلمين سراً ، وإنما عبّر عنه بصراحة فى خطاب ألقاه أمام حشد كبير من أعيان مدينة القدس وقراها[1].

ومن الجدير بالذكر أن الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين كان قد أطلق عليها اسم «إدارة بلاد العدو المحتلة» أى البلاد التابعة للدولة التركية التى دخلت الحرب ضد بريطانيا ودول الوفاق الأخرى ووقفت إلى جانب ألمانيا والنمسا وهما دول المحور وعليه فإن الحكم العسكرى البريطانى فى فلسطين كان وسيلة من الوسائل التى اتخذتها الحكومة البريطانية للمحافظة على الوضع الراهن أثناء الحرب .

(1) رفيق النتشة ، د. اسماعيل ياغى ، د.عبدالفتاح أبوعلية : المصدر السابق صـ١٣ .

وهو ما تقضى به اتفاقية لاهاى .

وتعد الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين فترة انتقال قصيرة مهدت السبيل لحكم الانتداب البريطانى فيها أو ما يطلق عليه تعبير «الانتداب البريطانى على فلسطين» .

وعلى الرغم من أن الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين كانت خاضعة لإشراف المدير العام الذى عينته بريطانيا إلا أنه ظل يأتمر بأوامر القائد الأعلى للقوات البريطانية فى منطقة فلسطين وهو الجنرال اللنبى باعتباره القائد الأعلى لقوات دول الوفاق فى المنطقة .

أقام اليهود تحت سمع وبصر الإدارة العسكرية البريطانية مجموعة من التنظيمات التى تخدمهم فى إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين وفى إنشاء الكيان الصهيونى أو الدولة الصهيونية اليهودية فيها ، ومن أهم هذه التنظيمات ما أسسته الطائفة اليهودية القليلة العدد فى فلسطين جهازاً للاستخبارات غضت الإدارة العسكرية البريطانية الطرف عنه لأنها تلتقى مع اليهود الصهاينة فى هدف استعمارى بعيد مشترك هو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين على الرغم من الخلاف المزعوم الذى كان يظهر بين الآونة والأخرى بين الإدارة العسكرية البريطانية وبين الصهاينة اليهود فى شأن عدد من القضايا الفرعية وليس القضايا الجوهرية فى التطبيق لأن الصهيونية كانت تريد من الإدارة العسكرية البريطانية إدارة صهيونية كاملة أو على الأقل إدارة يهودية .

ومن الجديد الذى ظهر فى عهد الإدارة العسكرية البريطانية أنها أعطت اليهود الحق فى انتخاب عضوين يهود يشاركان فى المجلس البلدى فى مدينة القدس لأول مرة وأدخلت النقود المصرية بدلاً من النقود العثمانية[1] .

(1) المصدر السابق صـ ١٨، ١٩ بتصرف.

ولعب الصهاينة اليهود بزعامة «حاييم وايزمان» دوراً بارزاً فى تحديد معالم التنظيمات الاقتصادية التى نظمتها الإدارة العسكرية البريطانية ، وطالب اليهود بأكثر من ذلك حين قالوا بوجوب اشتراكهم فى الإدارة العسكرية ، كما طالبوا الإدارة العسكرية بوجوب تشكيل لجنة خاصة بالأراضى فى فلسطين –لأن الأرض أكثر ما تعنيهم– تضم خبراء يهود تقوم الجمعية اليهودية بتعيينهم . وطالبوا بتأسيس لجنة خاصة لدراسة المرافق الطبيعية فى فلسطين ، وطالبوا أن يكون بنك (أنجلوا- فلسطين) وهو شركة يهودية هو المؤسسة المالية التى تتولى تقديم القروض للمزارعين العرب الفلسطينيين .

ويعد هذا من الإجراءات الاقتصادية التى تعطى مردوداً اقتصادياً لليهود وهنا يتضح أمر المخططات الصهيونية الرامية إلى استعمار الأرض الفلسطينية واستيطانها بالتواطؤ مع الحكومة البريطانية الظالمة[1].

والجدير بالذكر أن بريطانيا اهتمت بأمر تعليم أبناء الطائفة اليهودية فى نظامها وإدارتها بعيداً عن إدارة المعارف التى أنشأتها الإدارة العسكرية البريطانية فى القدس . وبناءً عليه فإن اليهود نشطوا فى إقامة مدارسهم الخاصة بهم بمساعدة المؤسسات الصهيونية العالمية وبمساعدة دولة الاحتلال ، وعليه زادت نسبة الأولاد الفلسطينيين العرب الذين حرموا من الدراسة على نسبة أبناء اليهود الذين تمكنوا من دخول المدارس اليهودية التى فتحت من أجلهم[2].

(1) المصدر السابق صـ٢٠ .

(2) المصدر السابق صـ ٢١.

التعاون بين الإدارة العسكرية وبين الصهيونية

قام تعاون واضح بين الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين وبين الصهيونية ، فسمحت الإدارة العسكرية لوفد صهيونى يهودى برئاسة «حاييم وايزمان» بزيارة القدس من أجل الاجتماع بالزعماء الفلسطينيين وإزالة مخاوفهم من تصريح بلفور ٢/ ١١/ ١٩١٧ وما تضمنه من إقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين . وقد هيأ الكولونيل (رونالدو ستورز) حاكم مدينة القدس الجو المناسب والحماية الكافية للوفد الصهيونى اليهودى ، وبذل مساعيه لعقد اجتماعات بين وجهاء فلسطين وزعمائهم وبين الوفد الصهيونى الغرض منها شرح وجهة نظر الصهيونية ومشروعاتها فى فلسطين لإزالة مخاوف الشعب الفلسطينى من أهداف وعد بلفور .

وعلى أى حال فإن الشعب الفلسطينى ليس بحاجة إلى وعظ وإرشاد فى هذا المجال فهو شعب يعرف حق المعرفة ما تنطوى عليه أهداف الصهيونية ومشروعاتها فى تأسيس الوطن القومى اليهودى فى أرضهم ، وما تهدف إليه الصهيونية العالمية من تهجير اليهود من بلدان العالم ليدفعوا بهم إلى فلسطين لاستيطانها ، وإحلال اليهود محل الشعب الفلسطينى وتهجير الشعب الفلسطينى الآمن من بلاده ليعيش هنا وهناك مشرداً بلا وطن .

وهكذا فإن وعد بلفور ومخططات الصهيونية فى احتلال فلسطين واستيطانها هى فى حد ذاتها ضربات قاصمة ضد الإنسانية وضد حقوق الإنسان التى تتشدق بها بريطانيا ومعها الدول الأوربية الأخرى والولايات المتحدة الأمريكية[1] .

(١) المصدر السابق صـ٢٤.

فلسطين تحت الانتداب البريطاني
(١٩٢٠/٧/١-١٩٤٨/٥/١٥)

أنهت الحكومة البريطانية العمل بالإدارة العسكرية فى فلسطين بعد صدور موافقة «المجلس الأعلى لدول الوفاق »على جعل بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين فى أول يوليو ١٩٢٠ وأقامت إدارة مدنية بدلاً من الإدارة العسكرية . وكان قد صدر فى ٢/ ١١/ ١٩١٧ وعد «آرثر جيمس بلفور» وزير الخارجية البريطانى فى رسالة مقدمة منه إلى رئيس الجالية اليهودية فى بريطانيا حيث أعطت بريطانيا بهذا الوعد لليهود حق إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين مناقضة بذلك لتفاهمات (الحسين – مكماهون) لعام ١٩١٥ القاضية باستقلال الولايات العربية التى كانت تحت الحكم العثمانى قبل الحرب العالمية الأولى .

فضلا عن أن المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم لعام ١٩١٩ اعترفت بأن الشعب الفلسطينى شأنه شأن الشعوب العربية الأخرى التى انسلخت عن الدولة العثمانية هو شعب مستقل .

وفى ١ يوليو ١٩٢٠ عينت الحكومة البريطانية اليهودى الإنجليزى المتطرف «روبرت صامويل» مندوباً سامياً وذلك تحت ضغط من الحركة الصهيونية ذلك قبل أن تعهد عصبة الأمم للحكومة البريطانية بتوقيع معاهدة الصلح مع الدولة التركية من جهة وقبل أن تقر عصبة الأمم انتداب بريطانيا على فلسطين لأن إقرار عصبة الأمم على بنود الانتداب جاء فى ٢٩ / ٩ / ١٩٢٣ بعد أن وقعت الحكومة التركية على معاهدة الصلح المنوطة بها[١] .

(١) المصدر السابق صـ٢٦.

ويوضح هذا الإجراء البريطانى عدة علامات من أهمها :

١- مدى السلطة الفعلية التى تتمتع بها بريطانيا فى المجلس الأعلى للدول الحلفاء من جهة .

٢- مدى التواطؤ القائم بين الحكومة البريطانية وبين الحركة الصهيونية العالمية.

٣- مدى التواطؤ بين الحكومة البريطانية وبين الدول الكبرى ذات التأثير الفعلى فى مجلس عصبة الأمم وبين السلطة القوية التى لها فى مجلس عصبة الأمم من جهة أخرى .

٤- مدى عدم اكتراث بريطانيا بالقانون الدولى ومبادئ الدبلوماسية وأسسها ، حين نراها تقوم بتطبيق نظام الانتداب فى فلسطين قبل إقراره رسمياً بأكثر من ثلاث سنوات ، من ١ يونيو ١٩٢٠م إلى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٢٣م .

٥- مدى الإلحاح الصهيونى على البريطانيين من أجل وضع ما جاء فى وعد بلفور موضع التنفيذ والعمل الفعلى دون انتظار القضايا الروتينية التى هى فى نظر الصهيونية أمور عادية تحتاج إلى مجرد وقت لكنها لا يجب أن تؤثر من بعيد أو قريب على أهداف الصهيونية ومخططاتها ومشروعاتها .

وبناء عليه فإن تعيين «روبرت صموئيل» كان ضربة موجهة ضد الشعور القومى العربى والإسلامى عامة ، وضد الشعب الفلسطينى خاصة ، وأن تعيينه ملأ الجو العربى مخاوفا واحتمالات خطيرة ، وشكل مظلة حامية للصهاينة اليهود فى فلسطين ، ومن هذا يتبين بوضوح أن الحركة الصهيونية ضغطت على الحكومة البريطانية لإصدار وعد بلفور، ثم ضغطت على عصبة الأمم لتضمين ذلك الوعد فى صك الانتداب الذى عينت به عصبة الأمم بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين ، وعليه كان لابد من ازدياد نشاط الحركة الوطنية الفلسطينية ضد الحكومة البريطانية وضد الصهيونية[1] .

(١) المصدر السابق صـ٢٧.

الهجرة اليهودية والاستيطان في فلسطين (١)

تميز القرن العشرين الميلادى بعدة أحداث تاريخية مهمة ساعدت المنظمة الصهيونية العالمية على تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، مما أدى إلى ازدياد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين وإلى ارتفاع نسبتهم بين السكان العرب . ومما قوى أيضاً من أطماع اليهود الصهاينة فى استيطان فلسطين والعمل على إنشاء الوطن القومى اليهودى فيها ونذكر من أهم هذه الأحداث :

١- قيام الحرب العالمية الأولى بعد أن تعذر على الدول الاستعمارية الكبرى الوصول إلى تفاهم بينها .

٢- تصريح بلفور١٩١٧ وما تضمنه من إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، والتأييد الدولى الاستعمارى له .

٣- انتصار دول الوفاق على دول المحور فى الحرب العالمية الأولى ، وقد ساعد هذا الوضع الدولى على نجاح المخططات الصهيونية الاستعمارية .

٤- بعض الظروف العامة التى ألمت باليهود فى أوروبا الشرقية ، بخاصة ما لاقوه من اضطهاد فى روسيا القيصرية وغيرها من بلدان أوروبا الشرقية بسبب ما أصاب هؤلاء من أذى اليهود وتدخلهم فى شئونهم السياسية والاقتصادية . وقد عرف هؤلاء الأوربيون أن اليهود جيران سيئون لا يمكن التفاهم معهم لأنهم

(١) رفيق النتشة ، د. إسماعيل ياغى ، د.عبدالفتاح أبوعلية : المصدر السابق صـ٣٥ – ٣٩.

جماعة يعد الغدر من أهم طباعهم .

٥- وقوع فلسطين خاصة وعدد كبير من البلدان العربية عامة تحت الانتداب البريطانى والفرنسى ، وأصبحت دولتا الانتداب تسيطران على جميع مرافق الحياة فى هذه البلاد .

وبناءً عليه فقد ازدادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى هذا القرن ، فوصل عدد المهاجرين إلى فلسطين فى الفترة بين ١٩٠٤- ١٩١٤م فى حدود (٤٠,٠٠٠) يهودى . وقد بدأ اليهود بمساعدة المنظمة الصهيونية العالمية بتأسيس المستوطنات اليهودية فى فلسطين منذ عام ١٩١٤م ، وأصبحت لهم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهم . وقد ساعدتهم ظروف الحرب العالمية ، وساعدهم أيضاً التطورات التى ألمت بالدولة العثمانية وما حدث فيها من الانقلاب الدستورى الذى أدى إلى تولى الاتحاديين السلطة وإلى عزل السلطان «عبدالحميد الثانى» الذى كان قد رفض بعنف كل المطالب الصهيونية محافظاً على دينه وشرفه .

وساعدت بريطانيا الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد احتلالها لها فى الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتدابها عليها . وساعدت أموال الأغنياء الصهاينة على تمويل الهجرات اليهودية ، وعلى بناء المستوطنات اليهودية فى فلسطين ، وعلى إقامة المشروعات الزراعية والصناعية . فقد أنفقت أسرة البارون أدموند روتشيلد صاحبة البنوك فى أوروبا ما مقداره (٦,٥) مليون جنيه استرلينى على الاستيطان اليهودى فى فلسطين . وأنفقت أسرة البارون (دى هيرش) ما مقداره عشرة ملايين جنيه إسترلينى فى سبيل إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين.

لقد فتحت بريطانيا أبواب فلسطين للهجرة اليهودية المنظمة وغير المنظمة من أجل تنفيذ سياستها الرامية إلى تهويد فلسطين . فكان عدد سكان فلسطين فى عام

١٩١٨م فى حدود (٧٠٠,٠٠٠) نسمة كان اليهود يشكلون نسبة ٨٪ فقط من مجموع السكان العرب الذين هم الأكثرية العظمى فى فلسطين إذ وصلت نسبتهم إلى ٩٢٪ من مجموع السكان .

وبناء على الإحصاءات البريطانية التى أجريت لسكان فلسطين عام ١٩٢٢م فقد وصل عدد سكان فلسطين إلى حوالى (٧٦٠,٠٠٠) نسمة ، كانت نسبة السكان العرب فى حدود ٨٧,٦٪ ، وبلغت نسبة اليهود فى حدود ١١٪ ، أى أن نسبة اليهود أخذت فى الازدياد التدريجى بفضل الهجرة اليهودية إلى فلسطين والتى تدعمها بريطانيا والحركة الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية المؤيدة لها[1] .

جدول يبين تطور عدد السكان العرب واليهود فى فلسطين ما بين ١٩٢٢ - ١٩٤٨[2] :

السنة	العرب	اليهود	المجموع	نسبة الزيادة المئوية فى عدد السكان
١٩٢٢	٦٧٣,٣٨٨	٨٣,٧٩٤	٧٥٧,١٨٢	---
١٩٣١	٨٦١,١٨١	١٧٤,٦٤٠	١,٠٣٥,٨٢١	١٣٦٪
١٩٣٩	١,٠٥٦,٢٤١	٤٤٥,٤٥٧	١,٥٠١,٦٩٨	١٩٨٪
١٩٤٠	١,٠٨٠,٩٩٥	٤٦٣,٥٣٥	١,٥٤٤,٥٣٠	١٠٢,٨٪
١٩٤١	١,١١١,٣٩٨	٤٧٤,١٠٢	١,٥٨٥,٥٠٠	١٠٢,٦٪
١٩٤٢	١,١٣٥,٥٩٧	٤٨٤,٤٠٨	١,٦٢٠,٠٠٥	١٠٢٪
١٩٤٣	١,١٧٣,٦٥٩	٥٠٢,٩١٢	١,٦٧٦,٥٧١	١٠٣٪

(1) رفيق النتشة ، د. إسماعيل ياغى ، د.عبدالفتاح أبوعلية : المصدر السابق صـ٣٦.

(2) هند أمين البديري ، أرض فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ . الجامعة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٢٦٨.

السنة	العرب	اليهود	المجموع	نسبة الزيادة المئوية فى عدد السكان
١٩٤٤	١,٢١٠,٩٢٢	٥٢٨,٧٠٢	١,٧٣٩,٦٢٤	٪١٠٣
١٩٤٥	١,٢١١,٠٠٠	٥٥٤,٠٠٠	١,٧٦٥,٠٠٠	٪١٠١
١٩٤٦	١,٣٢٨,٠٠٠	٦٠٨,٠٠٠	١,٩٣٦,٠٠٠	٪١٠٩,٧
مايو١٩٤٨	١,٤١٥,٠٠٠	٦٥٠,٠٠٠	٢,٠٦٥,٠٠٠	٪١٠٦,٦

ومن أهم معطيات الجدول زيادة عدد اليهود فى فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى فوصل عدد سكان فلسطين حسب إحصاء بريطانيا عام ١٩٣١م إلى حدود (١,٠٣٥,٨٢١) ، بلغ عدد السكان العرب منهم فى حدود (٨٦١,١٨١) نسمة وبلغت نسبتهم فى حدود ٨٣,٢ ٪ بينما وصل عدد السكان اليهود إلى حوالى (١٧٤,٦٤٠) نسمة ، وبلغت نسبتهم فى حدود ١٦,٨٪ ، أى أن نسبة اليهود ازدادت ونسبة العرب تناقصت ، مع أن العرب نسبة تناسلهم أكثر بكثير من نسبة تناسل اليهود . وتعود زيادة نسبة اليهود فى فلسطين إلى ازدياد عدد المهاجرين اليهود إليها لا إلى زيادة نتيجة التناسل لأن نسبة التناسل عند اليهود نسبة ليست عالية بالقدر الذى هى عند السكان الفلسطينيين العرب بخاصة المسلمين منهم[1] .

وزاد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين فى الفترة بين ١٩٣٢-١٩٣٦م إذ دخل فلسطين فى هذه الفترة من اليهود فى حدود (١٧٤,٠٠٠) يهودى ، مما أدى إلى ارتفاع نسبة اليهود بين السكان العرب ، فوصلت إلى حوالى ٢٨٪ ، ووصل عددهم فى فلسطين وقتذاك إلى حوالى (٣٨٥,٠٠٠) نسمة . وتعود هذه الزيادة إلى ظهور النازية وما قامت به من أعمال ضد اليهود ، مما أثلج صدور زعماء الحركة الصهيونية

(1) رفيق التتشة ، د. إسماعيل ياغى ، د.عبدالفتاح أبوعلية : المصدر السابق صـ٣٦.

العالمية الذين رأوا فى الاضطهاد النازى لليهود فرصة كبيرة لهم للضغط على اليهود فى سبيل قبول الهجرة إلى فلسطين .

ورأت بريطانيا فى الاضطهاد النازى لليهود فرصة سانحة لاستخدام اليهود وقدراتهم الاقتصادية فى المعركة التى ستخوضها ضد الألمان عندما بدت بوادر مقدمات الحرب العالمية الثانية تلوح فى الأفق . وهكذا نلاحظ أن الدول الكبرى فى حقب التاريخ القديم والوسيط والحديث هى التى تسخر اليهود وطاقاتهم الاقتصادية لخدمة أهدافها الاستعمارية على الرغم من أن اليهود يستفيدون من ذلك مؤمنين بنظرية التحالف مع الشيطان فى سبيل تنفيذ مآربهم ومصالحهم ، وقد تناقص عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين فى الأعوام فى ١٩٤٠م ، ١٩٤١م ، ١٩٤٢م ، ١٩٤٣م بسبب الحرب العالمية الثانية ، وبسبب تفوق دول المحور إلى حد ما فى هذه السنوات . لكن اليهود استأنفوا الهجرة الموسعة إلى فلسطين ثانية بعد ظهور علامات تفوق دول الحلفاء فى الحرب ، وبعد انتهاء الحرب لصالح هذه الدول المؤيدة للصهيونية العالمية . فوصل عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين عام ١٩٤٤م إلى (١٤,٦١٦) مهاجر ، وزاد هذا العدد فوصل إلى (٢٧,٥٦٩) مهاجر عام ١٩٤٦ وإلى (٢٠,٧٥٠) مهاجر عام ١٩٤٨م .

وقد أعطت حكومة الانتداب البريطانى على فلسطين تقديرات لعدد السكان فى فلسطين قبل انتهاء فترة انتدابها ، وقبل انسحابها من فلسطين ، فقد قدر جميع السكان بـ (١,٩٠٨,٧٧٥) نسمة ، بلغ عدد السكان العرب (١,٣٠٣,٥٨٥) نسمة ، وبلغت نسبتهم حوالى ٦٨,٢٪ من نسبة مجموع السكان . بينما وصل عدد اليهود فى فلسطين إلى حوالى (٥٨٩,٣٤٠) يهودى وبلغت نسبتهم حوالى ٣١,٨٪. وهكذا تتضح زيادة نسبة عدد اليهود فى فلسطين من جراء هجرتهم إليها . فبينما كان

عـــددهم (١٢,٠٠٠) نســـمة عـــام ١٩٤٥م ، نجـــدهم يصـــلون إلى حـــوالى (٥٨٩,٣٤٠) نسمة عام ١٩٤٧م . وزاد عـددهم أيضـاً عـام ١٩٤٨م ، وبعـد قيـام الكيان الصهيونى المزعوم فى ١٤ مايو ١٩٤٨م .

جدول يبين تطور أعداد اليهود فى فلسطين أثناء الانتداب[١]

المناسبة	العام	العدد اليهود بالألف	العدد السكان بالألف	النسبة لليهود	ملحوظة
بدء الانتداب	١٩٢٠	٥٦	٦٢٢	٩ ٪	أغلبهم رعايا دول أجنبية
نهاية الانتداب	١٩٤٨	٦٠٥	٢٠١٦	٣٠٪	معظمهم فى المنطقة التى خصصها التقسيم لليهود

مما لا شك فيه أن تدفق موجات الهجرة اليهودية الـذى شـهدته فلسـطين قـد أثـر تأثيراً ضخماً على النمو السكانى ، ففى حين لم يزد عدد اليهود المقدر عام ١٩١٨ عن ٥٦ ألف يهودى يمثلون نحو ٨ ٪ من عدد سكان فلسطين نراه وقد تضخم بشكل مروع خلال ثلاثين عام ليبلغ عام ١٩٤٨ نحو ٦٥٠ ألف يهودى أو بنسبة ٣١,٤ ٪ لسكان فلسطين مما يعادل نحو ثلث السكان أى أنهم تضاعفوا نحـو اثنـي عشر مـرة تقريباً فى حين أن سكان فلسطين لم يتضاعفوا نتيجة الزيادة الطبيعيـة سـوى مـرتين . الأمر الـذى أدى لـيس إلى إحـداث خلـل فى التركيـب الـديموغرافى فقـط ، وإنـما إلى تغيرات جوهرية اقتصادياً واجتماعياً[٢] .

واستمرت عمليات الاقتلاع للفلسطينيين من أرضـهم جاريـة عـلى قـدم وسـاق

(1) الجدول من حساب الكاتب مستعينا بـ : د . سلمان أبو ستة ، مجلة العربى الكويتيـة – فلسـطين النـداء ما قبل الأخير – مايو ٢٠٠٠.

(2) هند البديرى : أراضى فلسطين صـ٢٨٧. وملاحظ الاختلاف بين المصدرين .

بتهم واهية موجهة من قبل السلطات فالرعى ، أو الاحتطاب ، أو حتى سقى الحيوانات كان عملا يكفى لتشكيل جريمة تستحق العقاب الرادع تمارسها لجان عينت خصيصاً لهذه الغاية ، كان يتم بناء على قراراتها طرد الحائزين من أراضيهم .

ووفق التقديرات الرسمية فقد بلغ عدد الأسر المقتلعة من أراضيها عشرون ألف أسرة وصفتهم الحكومة بأنهم « مهاجرون من الريف للمدينة » ، لإضفاء نوع من التخفيف اللفظى أى أن نسبتهم تقدر بنحو ١٤٪ لباقى عدد الأسر القروية وإن كنا نعتقد أن هذا الرقم أكبر بكثير من ذلك .

جدول يوضح عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين من عام ١٩١٩ - ١٩٤٥م[1]

السنة	المهاجرين	السنة	المهاجرين	السنة	المهاجرين	السنة	المهاجرين
١٩١٩	١٨٠٦	١٩٢٦	١٣٠٨١	١٩٣٣	٣٠٣٢٧	١٩٤٠	٤٥٤٧
١٩٢٠	٨٢٢٣	١٩٢٧	٢٧١٣	١٩٣٤	٤٢٣٥٩	١٩٤١	٣٦٦٧
١٩٢١	٩١٤٩	١٩٢٨	٢١٧٨	١٩٣٥	٦١٨٥٤	١٩٤٢	٢١٩٤
١٩٢٢	٧٨٤٤	١٩٢٩	٥٢٤٩	١٩٣٦	٢٩٧٢٧	١٩٤٣	٨٥٠٧

أما عن قضية تسليم الأراضى الفلسطينية لليهود فقد اجتهدت بريطانيا كثيراً فى هذا الأمر لأن الأرض الفلسطينية هى الأرض التى عناها وعد بلفور وهى أرض الوطن القومى الذى جاء به تصريح بلفور . فاتخذت عدة أساليب لأخذ الأرض من الشعب الفلسطينى بالقوة وإعطائها لليهود الصهاينة بدون حق . فاستولت على الأرض الأميرية (الأرض الحكومية) وأعطتها لليهود . وضغطت على السكان العرب الفلسطينيين عن طريق فرض ضرائب عالية على الأرض ، كى لا يستطيعوا تسديدها وبالتالى تضع يدها على الأرض وتقدمها منحة للصهاينة اليهود. ومنها أسلوب مصادرة أراضى العرب وإعطائها لليهود . وقد ساعدتها المنظمة الصهيونية

(١) رفيق شاكر النتشة وآخرون (بتصرف) ، مرجع سابق .

بالمال اليهودى الذى يقدمه الصندوق التأسيسى اليهودى الذى أنشأه هرتزل ورفاقه الصهاينة منذ عام ١٩٠١م من أجل دعم عملية الاستيلاء على الأرض الفلسطينية وبناء المستوطنات الصهيونية عليها ، وإقامة المستوطنات الزراعية ، وتقديم الدعم والمشورة لهذه المستوطنات .

لقد بلغت مساحة فلسطين فى حدود (٢٧) مليون دونم مربع علماً بأن الدونم يساوى (١٠٠٠ متر مربع) ، وكانت مساحة الأراضى المسجلة رسميا باسم العرب الفلسطينيين فى حدود (١٣,٦٧٣,٣٢٠) دونم وبلغت مساحة الأرض الحكومية (الأميرية) التى تسيطر عليها حكومة الانتداب وتخضع لتصرفاتها فى حدود (١٢)مليون دونم. ولم يكن لليهود فى فلسطين سوى (٦٥٠,٠٠٠) دونم فقط .

وقد ركزت حكومة الانتداب البريطانى على إعطاء الأرض الأميرية لليهود ، متذرعة بعدة أسباب واهية . والواقع أن دولة الانتداب ليس لها أى حق شرعى أو قانونى من خلاله يجوز لها حرية التصرف بأرض الغير ، أرض الشعب الفلسطينى ، أرض العرب والمسلمين .

وتجدر الإشارة هنا أن حكومة الانتداب البريطانى كانت قد سلمت اليهود فى حدود (٣٠٠,٠٠٠) دونم من الأراضى الفلسطينية الأميرية دون مقابل ، وهى لا تملك الحق فى ذلك . كما أن بريطانيا مكنت اليهود من السيطرة على (٢٠٠,٠٠٠) دونم من الأراضى الفلسطينية الأميرية لقاء أجرة رمزية كوسيلة من الوسائل التى تبرر بها أعمالها التعسفية ضد الشعب العربى الفلسطينى ، لأن تأجير الأرض لليهود فى ظل سياسة التهويد ليس له إلا معنى واحد هو تسليم الأرض الفلسطينية لليهود .

وهكذا نلاحظ أن اليهود بدأوا يستولون على أراضى الشعب الفلسطينى بمساعدة دولة الانتداب ودعمها القوى لمشروعات تهويد فلسطين . كما أن بريطانيا

هيأت الصهاينة اليهود ليقوموا بعمليات الاستيلاء على الأرض الفلسطينية والمواقع الإدارية والعسكرية التى كانت تشغلها حكومة الانتداب عند رحيلها عن فلسطين بعد انتهاء فترة انتدابها عليها .

وازدادت عملية سيطرة اليهود على الأرض الفلسطينية بالقوة بعد قيام الكيان الصهيونى ، وبعد رحيل القوات البريطانية التدريجى من الأرض الفلسطينية بعد انتهاء فترة الانتداب . وبعد حرب عام ١٩٤٨م ، استطاعت الصهيونية بمساعدة الدول الاستعمارية الأوربية وعلى رأسها كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من السيطرة الكاملة على جزء كبير من الأرض الفلسطينية . وخول الكيان الصهيونى لوزير الدفاع الصهيونى بناء على قانون الطوارئ إجلاء السكان العرب الذين لم يهاجروا من بلادهم - لكنهم صمموا على البقاء فى أرضهم مقاومين طردهم منها بالقوة - بحجة أن أرضهم هذه ضرورية لأمن الكيان الصهيونى . وبهذا الأسلوب الأمنى المزعوم استطاع الصهاينة اليهود أن يسيطروا بالقوة على جزء من الأرض الفلسطينية .

لقد رفض الشعب الفلسطينى مشروعات التهويد ، وقاومها بكفاحه وجهاده الطويل والمرير ضد الصهيونية وضد حكومة الانتداب البريطانى . قاوموا الهجرة اليهودية إلى بلادهم ، وقاوموا عملية السيطرة التدريجية على أراضيهم وممتلكاتهم ، وقاوموا وعد بلفور وتأسيس الوطن القومى اليهودى فى بلادهم ، وقاوموا تأسيس المستعمرات اليهودية فى وطنهم ، وقاوموا مشروعات المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية والمؤسسات الصهيونية الإرهابية ، على الرغم من أن بريطانيا جردتهم من السلاح ، وعلى الرغم من أنها استعملت ضدهم أقسى أنواع الظلم والتعسف ، كالإعدام ، والسجن ، والنفى ، والتعذيب ، وهدم المنازل ، إلى غير

ذلك من أعمال القهر والبطش . لكن الشعب الفلسطينى ظل يحافظ على هويته العربية الإسلامية ، وظل يرتبط بالمواطنة الفلسطينية والوطن الفلسطينى ، ولم يقبل البدائل التى طرحتها بريطانيا مقابل الوطن الذى توارثوه أباً عن جد منذ عهد الكنعانيين ومروراً بعهد أجدادهم العرب المسلمين الذين عمروا هذا الوطن وحضروه ، واهتموا بمقدساته وصانوها على مر التاريخ من أذى المعتدين ، وأعطوا الحرية لكل أتباع الديانات السماوية فى ممارسة شعائرهم الدينية[1] .

(1) رفيق النتشة ، وآخرين :- تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر للمرحلة الثانوية صـ٣٥:٣٩.

opeikan.com

الإرهاب الصهيوني

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار وأنهم الأطهار وأنهم بشر وأن ما عاداهم حيوانات فى صورة آدمية خلقت لخدمتهم . وفى سفر العدد – أحد أسفار التوراة الخمسة – الإصحاح ٣٣-٥٠-٥٣ يقول : «وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم ، وتبيدون كل أجناسهم المسبوكة . وتخربون مرتفعاتهم ، تملكون الأرض ، وتسكنون فيها ، لأنى أعطيتكم الأرض لكى تملكوها» .

وهناك الكثير من أحكام التمييز فى كتب التوراة والتلمود وغيرها من كتب اليهود الدينية . فقد جاء فى سفر التثنية الإصحاح الأول / ٧: «إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[1] .

(1) رفيق النتشة ، وآخرين تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ، صـ٥٥.

فلسطين وقرار التقسيم ١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ (١)

عقب انسحاب آخر جندي بريطانى من فلسطين مساء ١٤/ ٥/ ١٩٤٨ أعلنت إسرائيل عند منتصف الليلة وفى الدقائق الأولى ليوم ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل وكانت بريطانيا الدولة المنتدبة قد أعلنت أنها ستغادر فلسطين فى أغسطس من نفس العام لكنها بكرت بالانسحاب لمدة ثلاثة شهور مما أربك الدول العربية التى أعلنت فى هذا اليوم بدء حملتها العسكرية لإنقاذ فلسطين من العصابات الصهيونية التى أعلنت قيام دولة إسرائيل .

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت القرار ١٨١ الصادر فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ القاضى بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة كيانات :

أولا: دولة فلسطين .

ثانياً: دولة إسرائيل.

ثالثاً: أنشأت وضعاً قانونياً خاصاً ومستقلاً لمدينة القدس ووضعتها تحت الإشراف الدولى وكانت نتيجة التصويت فى الجمعية العامة ٣٢ دولة مؤيدة للقرار ، ١٣ دولة معارضة ، ١٠ دول امتنعت عن التصويت ودولة واحدة امتنعت عن الحضور وبذلك فقد أقرت المنظمة الدولية الجديدة التى خلفت عصبة الأمم والتى لم يكن قد مضى على إنشائها سوى ثلاثة سنوات، إنشاء دولتين فى فلسطين، وقد أيدت إسرائيل التى لم تكن

(1) فتحى عبدالنبى الوحيدى ، التطورات الدستورية فى فلسطين ١٩١٧ – ١٩٩٥م.

عضواً فى الأمم المتحدة حتى ذلك التاريخ هذا القرار وعارضته الدول العربية . وقد تعرض الشعب الفلسطينى لأبشع أنواع الظلم باتخاذ هذا القرار .

ونقدم فيما يلى الصورة التى توضح أن هذا القرار كان قراراً جائراً استخدم فيه «الرئيس الأمريكى ترومان» كل وسائل الضغط التى يملكها على الدول المختلفة حتى تؤيد القرار معارضاً بذلك وزير خارجيته . والذى طلب التأجيل من الجمعية العامة للتصويت لمدة ٤٨ ساعة مارست فيها الولايات المتحدة ضغوطها للتأثير على مواقف الدول الأعضاء حتى يأتى تصويتها لصالح القرار .

وفى خلال ٣٠ عاماً من السيطرة البريطانية على فلسطين فإن اليهود لم يحصلوا إلا على ٦,٦ ٪ من مساحة فلسطين بمساعدة بريطانيا .

منح هذا القرار لليهود الذين لم تزد نسبتهم عن ٣٢ ٪ من عدد سكان فلسطين ولم تزد نسبة حيازتهم لأرض فلسطين عن ٦,٦ ٪ من مساحتها الإجمالية منحهم هذا التقسيم الظالم دون أدنى حق ٥٦ ٪ من مساحة فلسطين ، هكذا بمنتهى البساطة ، ليس هذا فحسب بل مكنهم من سهول فلسطين الخمسة التى تبلغ مساحتها خمسة مليون دونم[1] وتعتبر من أخصب أراضى فلسطين بخلاف موقعها الاستراتيجى الهام . وطرحت خطة التقسيم توزيعاً لحيازة الأراضى بين العرب واليهود على أن تبقى القدس مدينة دولية على النحو الموضح فى الجدول التالى .

توزيع حيازة الأراضى بين الدولتين العربية واليهودية والقدس الدولية بما فيها المساحة المائية وفق قرار التقسيم[2] .

(1) الدونم : ١٠٠٠ متر مربع .

(2) هند البديرى ، أراضى فلسطين صـ٢٦٥.

المناطق	المساحة بالدونم	النسبة المئوية لمساحة فلسطين الكلية
الدولة العربية	١١,٥٨٩,٨٧٠	٪ ٤٢,٨٨
الدولة اليهودية	١٥,٢٦١,٦٤٩	٪ ٥٦,٤٧
منطقة القدس الدولية	١٧٥,٥٠٤	٪ ٠,٨٥
مجموع	٢٧,٠٢٧,٠٢٣	٪ ١٠٠ «مقربة»

وبهذه المهزلة التاريخية فرضت أقلية أجنبية مهاجرة وافدة سيادتها على أكثر من نصف مساحة فلسطين ، أى تسعة أضعاف ما كانت تملك ، ولتقيم فيها دولة عبرية نصف سكانها من العرب الذين وجدوا أنفسهم بين يوم وليلة رعايا دولة أجنبية غازية .

أما الدولة العربية المقرر إقامتها على باقى فلسطين فكل سكانها عرب وليس فيها إلا حفنة من اليهود ولا توجد بالكاد مستعمرات يهودية إلا فى الدولة العبرية فقط ، وحتى هذه المستعمرات على كثرتها الظاهرة لم تكن إلا قواعد محصنه يسكن الواحدة منها من (١٠٠ - ٢٠٠) شخص من حاملى السلاح[١] .

جدول يوضح السكان كما تصورتهم خريطة التقسيم تبعا للقرار ١٨١[٢].

الدولة	اليهود بالألف	النسبة المئوية	العرب بالألف	النسبة المئوية	المجموع بالألف
الدولة اليهودية	٤٩٨	٪٥٠	٤٩٧	٪٥٠	٩٩٥
الدولةالعربية	١٠	٪١,٤	٧٢٥	٪٩٨,٦	٧٣٥
القدس	١٠٠	٪٤٨,٨	١٠٥	٪٥١,٢	٢٠٥
مجموع	٦٠٨		١٣٢٧		١٩٣٥

(1) سلمان أبو ستة ، فلسطين النداء الأخير ، مجلة العربى عدد مايو ٢٠٠٠.

(2) هند البديري أرض فلسطين .

احتلال الأراضي الفلسطينية

تمكن اليهود من انتزاع مساحة كبيرة من أرض فلسطين خلال ست سنوات فقط مابين ١٩١٤- ١٩٢٠ ، وهى فترة حدوث الفوضى فى الحرب العالمية الأولى التى تم استغلالها بأبشع الصور من قبل اليهود الذين سعوا جاهدين للاستيلاء على أراضى عرب فلسطين تساندهم بريطانيا وإدارتها العسكرية ومن ثم المدنية فيما بعد .

وفيما يتعلق بمساحة الأراضى التى حازها اليهود أثناء الحكم البريطانى وحتى عام ١٩٤٨ فهناك تضارب بين مصدر وآخر فى تحديد هذه المساحة ، فقد ذكر مصدر عربى استند إلى سجلات مصلحة التسوية بأن هذه المساحة قدرها (٦٤٤ , ٤٩١ , ١) دونماً أى بنسبة قدرها ٦ , ٥ ٪ لمجموع مساحة فلسطين . أما فى المصادر البريطانية الرسمية فتعطى رقم (٣٠٠ , ٧٣١ , ١) دونم فى حين يذكر اليهود ذاتهم أرقاماً تتراوح بين (٠٠٠ , ٧٦٥ , ١) دونم، أو (٠٠٠ , ٨٢٠ , ١) دونم أو (٠٠٠ , ٨٠٧ , ١) دونم الذى قدمته الوكالة اليهودية مما يجعلنا أكثر ميلاً لقبول هذا الرقم الذى قدمته الوكالة اليهودية وفق إحصائها عام ١٩٤٧ .

وبرغم تواطؤ بريطانيا فإن اليهود لم يمتلكوا إلا ٦ , ٩ ٪ من مساحة فلسطين كما يدل على ذلك الجدول التالى :

جدول يبين مساحة الأراضي التى حازها اليهود حتى عام ١٩٤٧

كيفية حيازتها	مساحة الأراضى بالدونم	نسبتها للأراضى الزراعية	نسبتها للمساحة الإجمالية
فترة الحكم العثمانى وبداية الحكم العسكرى البريطانى	٤٢٠,٦٠٠	٤,٥٦٪	١,٥٥٪
أجرتها حكومة فلسطين لليهود	١٧٥,٠٠٠	١,٩٠٪	٠,٦٤٪
منحتها الحكومة للوكالة اليهودية	٣٢٥,٠٠٠	٣,٥٣٪	١,٢٠٪
مشتراة من كبار ملاك غائبين غير فلسطينيين	٦٢٥,٠٠٠	٦,٦٨٪	٢,٣١٪
مشتراة من ملاك فلسطينيين	٢٦١,٤٠٠	٢,٨٣٪	٠,٩٦٪
المجموع	١,٨٠٧,٠٠٠	١٩,٦٪	٦,٦٪

تبرز دراسة الجدول أن مجموع ما ادعى اليهود «بملكيته» - ولنا تحفظ على هذه الكلمة لا يزيد عن٦,٦٪ من مجموع مساحة فلسطين أو ما نسبته ١٩,٦٪ من مجموع مساحة الأراضى الزراعية وفق تقديرها لعام ١٩٤٥[1].

وحتى لو افترضنا جدلاً أنهم حازوا الرقم الأعلى الذى قدمه خبير الأراضى «جرانوت» وهو(١,٨٥٠,٠٠٠) دونم وباعترافهم فإن ما تمكنوا من تسجيله حتى عام ١٩٤٦ لم يزد عن(٢٠٢,٩٧٤) دونم أى بنسبة ٥٢,٦٪ لمجموع ما حازوا أى بنسبة قدرها ٣,٦٪ لإجمالى مساحة أراضي فلسطين . وبنسبة قدرها ١٠,٥٪ لمساحة الأراضى الزراعية . أى أن المجموع الباقى من المساحة هو ٩٦,٤٪ من إجمالى مساحة أراضى فلسطين أو بنسبة ٨٩,٥٪ للأراضي الزراعية بقيت حقاً

(1) هند البديري ، أراضى فلسطين صـ ٢٦٢ :٢٦٣.

مطلقاً للعرب . إضافة لما حازه اليهود لأن حيازتهم له كانت دون وجه حق وعن طريق الاغتصاب وحتى عام ١٩٤٨ .

كانت حكومة فلسطين البريطانية خلال فترة حكمها التى دامت نحو ثلث قرن قد مكنت اليهود من حيازة ٨ , ٥ ٪ من مساحة فلسطين . برغم الجهود المضنية والضخمة التى بذلتها لتمرير الأرض عبر القوانين المتعددة ومجموعة الإجراءات التى استنزفت جهداً خارقاً بذلته الحكومة بكل الرضا فى سبيل إنشاء هذا «الوطن القومى الحلم» [١].

جدول يبين تفاصيل حيازة الأراضى التى حصل عليها اليهود حتى نهاية الانتداب فى ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ [٢]

م	المساحة كم٢	طرق الحصول عليها
١	١٧٥	امتيازات تأجير طويل الأمد أعطتها بريطانيا لليهود
٢	٥٧	حصة فى أرض غير مفروزة
٣	١٤٤٩	تملكها اليهود مباشرة
م	١٦٨١	وهى تساوى ٦٪ من مساحة فلسطين كلها والمقدرة بـ (٢,٦٠١,٦٦٦) كم مربع

وهذا من ادعائهم بصرف النظر عن مصداقية هذه الأرقام ، وفيما يخص توزيع حيازة الأراضى بين الأطراف المختلفة من عرب ويهود والقدس الدولية بدون المساحة المائية فيوضحها الجدول التالى .

(1) هند البديرى ، المصدر السابق صـ ٢٦٤.

(2) سلمان أبو ستة ، فلسطين النداء قبل الأخير ، مجلة العربى عدد مايو ٢٠٠٠.

توزيع حيازة الأراضي بين العرب واليهود والحكومة فى حالة التقسيم[1]

المناطق	عرب	يهود	طوائف أخرى	الحكومة	المجموع
الدولة العربية	٨٨٤٨٢٩٠	٩٥٥٤٣	٨٣٤٥٤	٢٣٦٢٥٨٣	١١٣٨٩٨٧٠
الدولة اليهودية	٣٥٧٧٨٢٥	١٣٨٣٨٥٨	٥٠٠٩٠	٩٧٤٥٨٧٦	١٤٧٥٧٦٤٩
القدس الدولية	١٤٨٦٥٩	١٢٢٩٨	٨٥٠٦	٦٠٤١	١٧٥٥٠٤
المجموع	١٢٥٧٤٧٧٤	١٤٩١٦٩٩	١٤٢٠٥٠	١٢١١٤٥٠	٢٦٣٢٣٠٢٣

كما قسم المشروع المدن والقرى بين العرب واليهود كما لو كان يقسم كعكة ميلاد الدولة اليهودية دون أى اعتبار تاريخى أو إنسانى والجدول التالى يبين .

توزيع المدن والقرى بين الدولتين العربية واليهودية فى حالة التقسيم[2]

المنطقة	الدولة العربية	الدولة اليهودية	القدس الدولية	المجموع
مدن عربية	١٦	١	٣	٢٠
قرى عربية	٥٥٢	٢٧٢	١٧	٨٤١
مدن يهودية	١	١٤	---	١٥
قرى يهودية	٢٢	١٨٣	٢	٢٠٧
مدن مختلطة	---	٣	١	٤

(1) المصدر هند البديرى ، أراضى فلسطين صـ٢٦٦.

(2) هند البديرى ، المصدر السابق ص٢٦٧.

المنطقة	الدولة العربية	الدولة اليهودية	القدس الدولية	المجموع
قرى مختلطة	---	١	---	١
مدن ألمانية	---	١	---	١
قرى ألمانية	---	٣	---	٣
مجموع المدن	١٧	١٩	٤	٤٠
مجموع القرى	٥٧٤	٤٥٨	١٩	١٠٥١

شكلت هذه التقسيمات المبينة فى الجداول السابقة صعوبة جمة فى التنفيذ مما دعا الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة تأليف لجنة مكونة من خمسة أعضاء سميت باللجنة الخماسية لدرس هذه المشكلة وتقديم توصياتها . وأوكل للجنة مهمة استلام وإدارة المناطق التى يتم الجلاء عنها من قبل الدولة المنتدبة بصفة مؤقتة ، واتخاذ تدابير إقامة الحدود بين الدولتين وغير ذلك الكثير حددته النقاط الخمس عشرة كخطوات تمهيدية للاستقلال تحت إشراف هذه اللجنة .

لقد شهدت الفترة التى أعقبت قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ والنهاية الفعلية للوصاية البريطانية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ هجمة شرسة قادتها القوات الإرهابية اليهودية جيدة التنظيم والتدريب والتسليح تساندها قوات الجيش البريطانى باحتلال مساحات واسعة من الأراضي فى مناطق مختلفة من فلسطين ضاربين عرض الحائط بكل توصيات الجمعية العامة وتقسيمات المناطق كما وردت فى قرار التقسيم ، ومتخطين حدود الدولة اليهودية لانتزاع الأراضى من المنطقة المخصصة للدولة العربية[1] .

(1) هند البديرى ، المصدر السابق ص٢٦٨.